

السلام العالمى والاسلام

الأستاذ محمود عبد العزيز محرم

الإسلام حرب والمسلمون متمصبون

هذا هو الحبل الذى شققنا به أنفسنا كثيرا . وشققنا به
المتعمرون كثيرا ؛ ولا زلنا كل يوم نجده قريبا من أعناقنا
للساعة التى نريد أن نتقم من أنفسنا فيها أو ينتقم منا فيها
غيرنا

الطرب : فذلك يتمشى مع طابعه ولا يتعارض معه بحال
من الأحوال

وقد أداه طبعه السياسى الواضح هذا إلى أن يرسم الخطط
للأمور التى يمكن أن تقع بعد عهد طويل .. ولا بأس عليه
من أن يخطئ .. خطأ المجتهد ، فى أن ينظم المملكة من بعده
على سورة مباينة طويلة المدى لأولاده ، أو أن يقتل الخارجى ،
وهو على وشك الموت ..

ولاشك أن تصرفه فى كسب صداقة شارلمان ، وإهدائه إياه
مقاييم بيت المقدس ، هو من وصى السياسى النابه الذى يريد
أن يحول بين عادية الصراع بين الشرق والغرب ، وهو ما
امتحن به المملكة الاسلامية بعد ذلك

وجلة القول فى الرشيد أنه كان من أبرع ساسة الشرق ، وخلفاء
الاسلام ، وأنه لم يكن بالمترف اللين الناعم كما صوره صاحب
الألقاب ، أو كاتب الفايعة ، ولكنه كان قاسيا جبارا ، فيه
روح المجاهد المحارب ، وعاطفة الشباب الفوار ، الذى لا يحب
الهرطقة ، والذى يتعقب خصومه ويفتك بهم ، والذى يحب
محالسى العلم ، ومحالسى الفن ، ويلقاها مرحا مبتهجا طلقا ، وإن
طوى النفس على هرطقة ماضية تبرز فى قوة حين يتصل الأمر
بشخصه أو سلطانه

أنور الجبىرى

وإذا كان من صالح الدول الغربية الاستعمارية وغيرها ،
أن تباعد بيننا وبين ماضينا ومعتقداتنا ، فإنه ليس من صالحنا نحن
أن نباعد عنا هذا الماضى وهذه المعتقدات . والأمم الغربية كلها
مردت على الإفلات من قبضة الدين حتى ما تستطيع الرجوع
إلى حظيرة مرة أخرى ، وهى تريدنا على أن نكون مثلها ،
فتخلع عنا هذه الروحية المالية والتوجيه السامى والإرشاد النير
حتى نجد فينا مرثما خصبيا ، تحقق فيه آمالها ورغائبها ، لأنها
تلم حق للمسلم ، أن ديننا — هذا الدين الإسلامى الحنيف —
يقف دونها ، ويحول بينها وبين ما تفتنى ، ولا يكاد يفسح لها
طريق الاستغلال والاحتكار والإذلال والاستعمار

وطالما سعت الأمم الغربية إلى هذه الغاية ، والمصور الماضية
لا زالت تتراعى لنا فى صفحاتها المليئة بالمظالم والأخبار الحروب
العالمية المتكررة ، والهجمات المتتالية من الغرب على الشرق
فى محاولات كثيرة لتشويه الدين الإسلامى ، ونسفيه العقيدة
الإسلامية ، والاستيلاء على بلاد الإسلام

وقد اشتبك الغرب بالشرق — منذ الاسلام — اشتباكات
كثيرة ، كتب النصر فى بعضها للشرق ، وكتب النصر فى بعضها
للغرب . على أن نصر الشرق كان مرجعه فى كل مرة إلى
الاستمساك بمقائمه الرفيعة ، ومثله العالية ، ودينه الربانى الحنيف .
ويوم انتصر الغرب على الشرق ، كان ذلك بعد أن تخلىنا عن
ديننا ، وغلبنا على أنفسنا ، وسبعينا وراء رغائب الحياة الدنياه
ومثلها الهابطة ، فنى أعمارنا وقوانا ، ونجعل منها سدا متينا يحرمنا
الاسترواح فى ظل رسالتنا ، وطرائقها الحيوية ، وأهدافها

لقد استعمر الغرب بلادنا ، واستولى على مواردنا ، واحتكر
مجالات النشاط الاقتصادى ، وساقنا إلى حروب لاشان لنا بها
غير أن أعظم ما فعله خطارا ، هو تلك الطائفة « السلة ١ » التى
وياما ونشأها وأعدما لحكم البلاد ، ووقف هو من وراء ستار
على ما يريد ويدفعها إلى ما يريد

هذه الطائفة « السلة ١ » تقتل الاسلام وتقتل المسلمين
بالحرب استعماري غير مباشر ، بعد أن فرغ الاستعمار من كل

ما يطبق في هذه السبيل بالحب الباشر ، واخترع لنا هؤلاء جميعا
فكروا السلطة الدينية والسلطة الزمنية اللتين اعترف بهما الغرب
لتنحسر ظلال الدين من مرافق الحياة ، وحاولوا أن يوهنوا بأن
السماة شيء والدين شيء آخر . وارتفعت أصواتهم المتخاذلة
هنا وهناك انتشر في الشعوب المشكينة هذا المبدأ الخبيث

نحن في بلادنا ، وقد انطلقت إلينا الدول الغربية من بلادها ،
فرزت العالم الإسلامي مزقا ، وعذبت المسلمين في كل قطر حلت
به ، وضربهم بالذل والفقر والفساد ، وكلما بدت محاولة لارجاعنا
إلى مبادئنا الدينية حتى نهج في الحياة نهجا صحيحا ، أذاع
المستعمرون بيننا بلسانهم أو بلسان عملائهم ، أن الإسلام حرب
وأن المسلمين متمصبون ، وأنه لا دين مع سياسة ، ولا سياسة
مع دين

لذلك نجدنا في حاجة إلى تصحيح هذه الأوضاع الخاطئة
التي جرت عليها السنين أذيا لها ، والتي تبدو الآن لكثير من
الناس حقيقة لا مفر منها ، في حاجة إلى فهم ديننا على حقيقته ،
والرجوع به إلى مصادره الأولى ؛ يوم كان سياسة عملية زاكية ،
تعم ولا تحرب ، وتهدى ولا تضل ، وتمدل ولا تنظم ، وتحمّن
ولاتسيء ، في حاجة إلى فهم أن ديننا سياسة ، وأن سياستنا دين ،
وأن حياتنا في أنفسنا ومع غيرنا لا بد أن تقوم على هذا الأساس .
في حاجة إلى فهم قيمة عقيدتنا في الحياة ، ومعرفة أساليبها في
فض مشاكل الناس ومشاكل الأمم ، ودراسة أهدافها ، دراسة
موضوعية صحيحة . في حاجة لأن نفهم هل الإسلام حقيقة دين
حرب ! وهل المسلمون بالتالي متمصبون !

في هذا كله أخرج الأستاذ سيد قطب كتابه الرائع
« السلام المالي والإسلام » وهو من أرل سطر فيه يسجل
وظيفة العقيدة الدينية « فعمد الإنسان محدود ، وأيامه على
الأرض محدودة ، وهو - بالقياس إلى هذا السكون الهائل الذي
يسبب فيه - ذرة نائمة لا مستقر لها ولا قيمة ، وعمره بالقياس
إلى الزمن الهائل من الأزل إلى الأبد ومضة برق أو غمضة عين
ولكن هذا الفرد للفاني ... يملك في لحظة أن يتصل بقوة

الأزل والأبد ، أن يمتد طولا وعرضا في ذلك السكون الهائل ،
أن يرتبط به في أعماقه وأمشاجه بوشائج من القربى لا تنفصم ،
أن يشعر أنه من تلك القوى الهائلة وإلها ، أنه يملك أن يصنع
أشياء كثيرة ، وأن ينشئ أحداثا ضخمة ، وأن يؤثر في كل
شيء ويتأثر . . . يملك أن يحسن الوجود في الماضي والاستقرار
في الحاضر ، والامتداد في الآتي ، يملك أن يستمد قوته من تلك
القوة الكبرى التي لا تنضب ولا تنحسر ولا تضعف ، وأنه قادر
إذن على مواجهة الحياة والأحداث والأشياء بمثل قوتها ، فما هو
بالقوى الضائع ، ولا بالفرد العاجز ، وهو يستند إلى قوة الأزل
والأبد وإلى ما بينه وبينها من وشائج

تلك وظيفة العقيدة الدينية ، وذلك أثرها في النفس والحياة
والمقيدة الإسلامية تنظر إلى الإنسان ككل ، دون تفرقة
بين سلوكه وأهدافه ونوازه ودوافعه ، ودون تفرقة بين روحه
وعقله وجسده « فهي تشمل كل نشاط الإنسان في كل حقول
الحياة ، فلا تقصر مهمتها على حقل دون حقل ، ولا على أنبياء
دون أنبياء . إنها لا تدع ما اقيصر لقيصر وما لله لله ، فما اقيصر ،
وقيصر ذاته ، في العقيدة الإسلامية - كاله لله . وما لقيصر حق
ليس للفرد من رعاياه ، وإنها لا تتولى روح الفرد وتهمل عقله
وجسده ، أو تتولى شأئره ، وتهمل شرائعه ، أو تتولى ضميره
وتهمل سلوكه ، وإنها لا تتولاه فردا وتهمله جماعة ، ولا تتولاه
في حياته الشخصية وتهمل نظام حكمه أو علاقات دولته

« والإسلام يمد الحياة وحدة ، وحدة من ناحية الزمن
مماسكة الحلقات ، متدرجة الخطوات ، متضامنة الأجيال ،
متماثلة الأطوار . وحدة من ناحية الفطرة ، مماسكة للنوازع
والأشواق ، ممتزجة المادة والروح ، قابلة للارتفاع إذا حسن
توجيهها وتركيزها ، مستعدة للهبوط إذا ساء التوجيه والقيادة
« ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من
زكاها . وقد خاب من دساها »

وإذا كان الإنسان ينظر إليه ككل ، وإذا كانت
الحياة ينظر إليها كوحدة ، وإذا كانت الحياة قابلة

لم ينفل الإسلام في هذا المجتمع الأكبر الأدب الاجتماعي
الإنساني . ولم يقصر في بذور بذور الحب والرحمة ، وفرصة
التعاون والتضامن . وشرع أهدافا عليا يسمي إليها المجتمع السليم .
ونظم الحكم ، وضمن العدالة القانونية . وضمن الأمن والسلامة .
وضمن الحياة العيشية . وطادل بين الطوائف والأفراد اجتماعيا .
وقرر في المال أصولا قيمة تضمن سلامة المجتمع

الله واحد . صدر عنه كون واحد . بكلمة منه واحدة .
وهدها بشرية واحدة . كل هذا ليأمرنا بالوحدة والحببة
والتعاون ، ونحقق كلمة الله التي أرادها على مر الأيام والعهود ،
من صدق وعطف ورفع ظلم ، وإحسان وتعاون وإعمار ، ووقوف
في وجه الظلم ، ومعارضة الاستغلال الفردي والجماعي ، والالتزام
بالجادة ، والنأي عن كل ما يحبط الإنسان والإنسانية

هذه هي رساله الله التي جاء بها موسى وعيسى ومحمد . فلسنا
نخرج على أمم الغرب ودوله بمجديد حين ندعو إلى هذه الأهداف
السامية ، لأنها من صميم رسالتهم من قبل أن يعرفوا السلام
عن مواضعه ، ومن قبل أن يفصلوا الدين عن الدولة . ومع ذلك
فهم يرونها شيئا غريبا عنهم ، لأنهم مردوا على التفاهة والاستغلال
والشهوة ، ومردوا على مقاطعة رسائل الوحي ومخاصمة الأنبياء ،
إذ في هذه الرسائل حد من طغيانهم وعيبتهم ولهم واستغلالهم
الأمم والشعوب

الإسلام دين سلام لا دين حرب . وهو يقاوم الحروب في
كل مظاهرها إلا فيما يتفق ورسائله المالية ؛ فهو لا يرضى
الحرب العنصرية ، ولا يرضى الحرب الدينية كما يفهمها
الأوربيون ، ولا يرضى حرب الاستعمار والاستغلال ، ولا يرضى
حرب الأجناس الزائفة للعلوك والأبطال ، ولا حرب المغانم
والأسلاب ؛ إنما هي حرب واحدة برضاها ، ليقر السلم والعدل
في الأرض ، وليعلم الناس بالهدوء والأمن ، ولينسجموا أنصام
الحرية والتقدير . وهي الحرب التي يمانها على الظلم في جميع صور
وأشكاله ، فلا يهدن قوة ظالمة على وجه الأرض ، سواء تمثلت
هذه القوة في صورة فرد يتجبر على الأفراد والجماعات ، أو في
صورة طبقة تستغل الطبقات ، أو في صورة دولة تستغل الدول
والشعوب . إنها كلها صورة واحدة في عرف الإسلام ، صورة

للمهبط إذا ساء التوجيه ، ومستعدة للارتفاع إذا حسنت
التزكية ، إذا كان ذلك كذلك فإن الإسلام يرمم طريقة فذة
اتربة هذا الكل الذي هو الإنسان ، وللارتقاء بهذه الوحدة التي
هي الحياة . فسلام الضمير ، وسلام البيت ، وسلام المجتمع - كل
هذه أهداف سمي إليها الإسلام على طريق مبددة وبوسائل عملية
مثمرة ، حتى يطمئن الفرد فيطمئن البيت ، وإذا ما اطمأن البيت
أمن المجتمع . وبعد هذا كله تظل الحياة والأحياء أعلام الأمن
والسلام

إن الإسلام يرى أن سلام الأمم والجماعات إنما هو من ذات
الفرد الذي يكون الأمم والجماعات ، والفرد هو اللبنة الأولى التي
إن صلحت صلح البناء كله ، وإن فسدت وكانت واهية ضئيلة
انهزم للبناء كله من أساسه . الفرد ذو قيمة ، لأنه هو الذي
يكون الأمم ، وهو الذي ينشر المحبة والسلام ، وهو الذي يسمي
بما شب عليه إلى نظام في الحياة أمتل ، ولذلك راعاه الإسلام حق
الرعاية ، وهدها ووجهه وأرشد ، ورسم له الحدود التي يبدأ منها
والنائل التي ينتهي إليها . هذا وهو فرد ، أما إذا كان في
مجمع صغير - مجتمع الأسرة ، فقد وضع له القوانين والنظم ،
وراعى في ذلك حياة فرد آخر أو أفراد آخرين ، ليكونوا أداة
عامة في رفق الحياة . فشرع الرباط المقدس يربط بين الزوجين ،
وحرّم الاختلاط والتبرج ؛ ورسن الحدود لحماية الأعراض .
وأحل الطلاق وهو أبيض حلال إلى الله . وأباح تعدد الزوجات
ليمكن مواجهة أحداث الزمن وتوازيه . ثم جعل المائلة كلها
متكافئة في السراء والضراء ؛ في حال القدرة يفيض بعض أفرادها
على بعض ، وفي حال الهأس يمين القادر المحتاج

وإذا خرج للفرد إلى المجتمع الأكبر لم يتركه الإسلام ، بل
يسن له من القوانين والمبادئ والنظم ما يكفل لهذا المجتمع حياة
صحيحة ، وما يدفع به في ثقة وأمن لتحقيق إرادة الله وكلته ،
تلك الكلمة التي بها نزلت الشرائع من لدن آدم إلى محمد صل الله
عليه وسلم ، فالرسل جميعا في هذه الكلمة سواء ؛ وهم مكلفون
دهوة الناس إليها ، وهم مكلفون هم ومن معهم الدفاع عنها
والنضحية في سبيلها

في هذه الملائكة حدث على أيدي المحترفين بالدين من الكهان
والقسس الذين بدلوا في كلم الله ، ولا شك عندى أن الأساطير
التي تؤلف بقصد بعض الديانات التي زورها أهلها وانحرفوا بها عن
سياستها الإلهية الرسومة

ويقول الأستاذ المؤلف « حتى الجرعة لا يجوز إثباتها
بتدوير البيوت والتجسس على الناس في مآثمهم . وقد حدث أن
مرمرين الخطاب في إحدى جولاته الليلية بيت سمع فيه
صوت رجل وامرأة لهله رابه ، فتدور الحائط لينظر ، فإذا رجل
وامرأة ومعهما زق خمر . فقال عمر : يا عدو الله ! أكنت ترى
أن الله يسترك وأنت على معصيته ! فقال الرجل : يا أمير المؤمنين :
أنا عصيت الله في واحدة وأنت في ثلاث . فآله يقول
« ولا تفسحوا » وأنت تفسح علينا . والله يقول « وأتوا
البيوت من أبوابها » وأنت صعدت من الجدار ونزلت منه .
والله يقول « لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا
على أهلها » وأنت لم تفعل

وهكذا لم يجد عمر أنه يملك « قبا » ، فاستجاب له !

وأحسب أن الاسلام يبيع التجسس فيما هو من صالح الرعية
والقيام على حيطة القوانين . وعمر رضى الله عنه ما خرج إلا
متجسسا مستطلعا ، ويبدو لي أن هذه القصة رُضت وُحلت على
عمر . وإلا فإنها لكبيرة من هذا الفارغ الوقح أن يجابه عمر هذه
المنجية : رجل معه امرأة ، ومعه زق خمر ، وصوت الرجل والمرأة
يبدو من يسمعه عرضا إلى الاستجابة ، فإذا ما استشرى أمير
المؤمنين لينظر ما رابه يفاظه هذا الفارغ الوقح في أسرار الدين !
إن عمر لم يماقيه لو كانت القصة حقيقية ، لا لأنه نجس ، ولا
لأنه أن البيت من غير باب ، ولا لأنه لم يستأنس ولم يسلم ،
ولا لأن حجة هذا الفارغ فُلجت حجة عمر ، بل لأن شروط
المقاب لم تتوفر ، فلم يبق إلا التمزير وهذا ما فعله عمر

إن الكتاب كتاب إسلامي قرأني . وإن أراه يمتاز بميزات
ثلاثة : الأولى وحدة موضوعه . الثانية أنه سد في نفوسنا حاجة
ماحة في هذه الفترة من الزمن . الثالثة بيسانه الشرق وتعبيره

الرائق

محمد عبد العزيز محرم

مناهية لبادته الأساسية ، وعليه أن يجاهدها ما استطاع ، وعليه
ألا يجاهدها إلا ربنا بتجميع الكفاحها ، ولا يماونها ولا يقف في
صفها بحال من الأحوال « ولا تماونوا على الإثم والمدون »

هل الدين الذي يسمى إلى هذه الغاية دين حرب ؟ هل الدين
الذي لا يفرض نفسه عقيدة على الناس دين قتال ؟ هل الدين
الذي يحرم الأكرام في العقيدة دين عصف ؟ وهل المسلمون
المقتلون لهذه الغايات الشريفة متعصبون ؟ نعم متعصبون !
ونعم هو دين حرب ! في رأى هذه الدول الغربية التي رفضت
الخصوع لدينها الصحيح ! وفي رأى بعض « المسلمين » المحسوسين
على الاسلام ظلمنا وعدواننا !

هذا الكتاب الجميل الرائع من صفحته الأولى إلى صفحته
الأخيرة لتقرير السلم المالية في رأى الاسلام . هذه السلم التي
تعمل في دفع الظلم وإقرار العدالة الاجتماعية وحسب . هذه السلم
التي تبدأ من ضمير الفرد وتنتهي إلى هذا العالم الأوسع . وقد
قدمت حقائق هذا الكتاب مؤيدة كلامها بالأسانيد القرآنية
والنبوية ومأثورات السلف الصالح

وحيث كنت أطلع هذا الكتاب ، كان يقوم بنفسى
اعتراض أو رأى أو حاجة ، فساهى إلا بضمة سطور أو بضم
صفحات حتى أجد ما أحب وأرجو ، كأنما كنت معه على ميماء
غير منظور

وإن السلام الذي نشده بهذا الكتاب ، وبدعوته الربانية
المشرقة ، ليحملنا على التدقيق في كل ما نكتب وما نقول . وإنه
قد حاك بنفسى حاك من هذه العبارة « ويسكب الاسلام في
النفوس السكينة والأمن والسلام ، بالركون إلى الله والاعتمادان
إلى جواره » ، والنفقة في رحمة ورحابته وحمايته . وهى خاصية
العقيدة الدينية التي يشارك الاسلام فيها سائر العقائد السماوية ..
وإنما يتميز الاسلام بأن الملافة فيه مباشرة بين الرب والعبد ،
لا يدخل فيها كاهن ولا قسيس ، ولا تتعلق بإرادة مخلوق في
الأرض ولا في السماء »

وأنا أحسب أن الملافة المباشرة بين الرب والعبد ليست
مقصودة على الاسلام ، إنما هي في البيانات السماوية كلها ، من
آدم إلى موسى إلى محمد بن عبد الله ، ولكن الرغول